التصوف بين أهله وأدعيائه

إبراهيم الحلبى

الناشر





وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

رقم الإيداع بدار الكتب
٢٠٠٧ / ٣٩٨٢
I.S.B.N
977-401-055-8

مكتبة القاهرة
لصاحبها
علي يوسف سليمان
١٢ ش الصنادقية بالأزهر - ت : ٥٩٠٥٩٠٩
١١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر - ت : ٥١٤٧٥٨٠
ص . ب : ٩٤٦ العتبة - القاهرة

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (يونس : ٦٢) .

" مدخل "

كان التصوف حالا فصار كارا ، وكـــان احتسابا فصار اكتسابا ، وكان استتارا فـــصار اشتهاراً ، وكان إتباعا للسلف فـــصار إتباعـــا للعلف، وكان عماره للصدور فـــصار عمـــارة للغرور ، وكان تعففا فصار تكلفا وكان تخلقـــا فصار تملقا ، وكان سقما فصار لقما وكان قناعة فصار فجاعة ، وكان تجريدا فصار ثريدا) .

« التجربة الصوفية واحدة في أصلها .. ولكن اختلاف الصوفية راجع إلي التفـــسير الـــذي يعملونه لها بحسب ثقافتهم واتجاهاتهم المختلفة كما يرجع إلي الفروق الفردية بـــين صـــوفي وآخر » .

الدكتور أبو الوفا التفتازاني
أستاذ التصوف السابق
بجامعة القاهرة

" مقدمة "

التصوف رياضة للنفس ومجاهدة لرغباتها ، وتـصفية للقلب من أدران المادة وشوائب الحس .. وهو ذوق ووجد وفناء عن الأنية ، وبقاء بالذات العلية . والمتأمل في حياة الصوفية يلاحظ أنها تنطوي علي معنيين رئيسيين : أحدهما معني عملي يتمثل فيه ما يأخذ به السالك لطريق التصوف نفسه من ألوان الرياضات وضروب المجاهدات .. وثانيهما معني ذوقي روحي هو الذي يحصل في النفس ثمرة لرياضاتها ومجاهداتها فإذا هي تصفو شيئا فشيئا وتخلص من شوائبها رويدا رويداً .. وإذا هي تستحيل في آخر الأمر إلي روح نقية صافية كما كانت قبل أن تهبط من عالم الأمـــر إلي العالم السفلي (عالم الدنيا) .

والمرآة التي ينعكس علي صفحتها هذا المعني الذوقي الروحي هي ما يعرض للنفس من أحوال ترد عليها حينا وتتحول عنها حينا آخر وما تزال هذه الأحوال بين إقبال علي النفس وإدبار عنها ثم يستقر من هذه الأحوال حال

يغلب علي نفس الصوفي ويوجه حياته الروحية فإذا هـــي تشرق بنور الحق وتعمي عن رؤية الخلق .

هنالك تكون النفس قد وصلت إلي أسني الأحوال ، وتكون قد شاهدت بعين البصيرة كل ما في الوجود مـــن آيات الحق والخير والجمال .

وتعد كل تجربة صوفية وليدة لما خضع صاحبها من رياضيات ومجاهدات ولما تعاقب علي نفسه من مواجيـــد وأذواق ولما فتح به الله عز وجل عليه بعد هذا كله مـــن مكاشفات ومشاهدات .. يعبر عنها الصوفي الواصل إليها تعبيراً يصور مبلغ العناء الذي أحتمل ومقدار الصفاء الذي حصل ويقرر الصوفية أن الجهاد يطول في الطريق الصوفي فلا ينبغي للمريد أن يتعجل الثمر فكلما عظمت الأهداف طال الطريق ويجب علي السالك ألا يبرح الباب ويطيـــل المجاهدات ويديم الذكر والتضرع والتذلل والدعاء فإنـــه لا يطلب نيشانا ولا جائزة ولا منصب ولا درجة علمية وإنما يطلب وجه صاحب العرش العظيم ، يطلب العزيز الذي لا يرام وذلك مطلب لا يبلغه طالب إلا بعد أن يبتلي ويمتحن

فيصبر ويرضي ويتوكل ويتحقق إخلاصه ويري الملأ الأعلى صفوته وبينته وذلك معراج يحتاج إلي عمر بطوله وإلي زاد من التقوى والمحبة وصبر علي البلاء ولا يقدر علي هذا إلا آحاد .

والحياة في نهاية الطريق الصوفي بعـــد الوصـــول إلي القرب من الله تصبح لذة عظيمة عند الصوفية أصـــحاب البصائر لأنها تكون قراءة هادئة ممتعة لسطور الحكمة الأزلية في كتاب الكون الذي تتعاقب صفحاته أمام العين كل يوم إنهم أهل القرب وأهل الحضرة الذين يرون الله رؤية قلبية وفي هذه الرؤية يهتك حجاب الأشياء ولكن تظل الذات الإلهية محجوبة بأنوارها فلا تري جهرة ولا تري رؤية عين .. وإنما يقول الصوفي الواصل إنه قد زج به في الأنوار ، وهي خبرة صوفية ذاتية لا يعرفها إلا أهلها ولا قدم فيها لأحد إلا الندرة المختارة الذين قطعوا مراحـــل الطريـــق الصوفي وتحملوا أهواله وأفنوا أنفسهم حبا وعبادة وإخلاصا لله بالقول والعمل وهجروا زينة الحياة الـــدنيا بـــشهواتها وملذاتها يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه .

وفي هذا الكتاب سنحاول التعرف علـي الطريـق الصوفي ومراحله في البداية والوسط والنهايـة والمقامـات والأحوال التي يعيشها الصوفي ويتحملها ويتجاوزها حـتى يصل إلي نهاية الطريق ويحظى بمذاقات القـرب مـن الله ومعرفة الذات الإلهية وكمالاتها كما سندرك أن الـصوفي وهو يسلك طريقه الطويل في السفر إلي الله لا يتخلى عن الشريعة لحظة واحدة بل يزداد تمسكه بالشريعة قرآنا وسنة كلما تعمق في سلوكه الطريق إذ يفاض عليـه بمعـارف جديدة حوا أسرار الشريعة .

وإذا تعرفنا علي حقيقة الطريق الصوفي ومراحله فإنه يصبح سهلا علينا أن نعرف من هم الدخلاء علي التصوف وأدعياء الطريق الصوفي الذين أساءوا بأفعالهم وسلوكياتهم الغريبة المستهجنة إلي الطريق وأهله وتخيلوا بجهلهم وجراءتهم علي الدين أن التصوف والطريق الـصوفي يتمثـل فيمـا يرتكبونه ويتعاطونه من دجل وشعوذة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

إبراهيم الحلبي

أولاً : تعريف التصوف

سأحاول هنا أن أستخلص للتصوف تعريفا جامعـــا يحتوي بدايته ومنهجه وغايته ولقد آثرت أن أستعرض نحو أربعين تعريفا للصوفية الذين اجتازوا مراحل الطريق الصوفي من صوفية القرن الثالث الهجري .. وبالرغم من كثـــرة التعريفات إلا أنه من المتعذر الحصول علي تعريف شامل منها ذلك لأن الصوفي لا يحدد العلم كما يحدده الفلاسفة إنما هو يعبر عن حال غالب عليه في وقت من الأوقـــات ولهذا سأحاول وضع تعريف جامع للتصوف في هدي هذه التعريفات مجتمعه حتى تتكامل وتتقارب في إطار واحـــد ويمكن أن تصنف هذه المجموعة من التعريفات حسب ما تتناوله من فكرة وحال غالبة إلي :

أ ــ تعريفات تتحدث عن بداية الطريق الصوفي

ب ــ تعريفات تتحدث عن وسط الطريق (المجاهدات)

ت ــ تعريفات تتحدث عن نهاية الطريق (المذاقات)

أولا: تعريفات بداية الطريق:

والتعريفات التي تتحدث عن البداية غالبا ما تجعــل التصوف تخطيطا لطريق ذي غايــة .. يقــول معــروف الكرخي (ت ٢٠٠ هـــ) :" التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق فمن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف " .. يقول أبو تراب النخشبي (ت ٢٤٥ هـــ) :" الصوفي لا يكدره شيء ويصفو به كــل شــيء " .. ويقول سهل بن عبد الله التستري (ت ٢٨٣ هـــ): " الصوفي من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر وانقطع إلي الله من البشر واستوي عنده الذهب والمدر " .

وفي هذا المعني يقول ذو النون المــصري (ت ٢٤٥ هـــ): " الصوفي من لا يتعبه طلب ولا يزعجه سلب " .. ويقول أبو الحسين النورى (الصوفية قوم صفت قلوبهم من كدورات البشرية ، وآفات النفس ، وتحرروا من شهواتهم حتى صاروا في الصف الأول والدرجة العليا مع الحق فلما تركوا ما سوى الله صاروا لا مالكين ولا مملوكين) ويقول أيضا:" التصوف ترك نصيب النفس جملة ليكــون الحــق

نصيبها " وله :" التصوف كراهية الدنيا ومحبة المولي " .. ويقول الجنيد (ت ٢٩٧ هـ): " التصوف تصفية القلوب حتى لا يعاودها ضعفها الذاتي ومفارقة أخلاق الطبيعة وإخماد صفات البشرية ومجانبة نزوات النفس " .. ويقول علي بن سهل الأصفهاني (ت ٣١٧هـ) :" التصوف التبري عمن دونه والتخلي عمن سواه " .

وبذلك يتضح من خلال التعريفات السابقة أن بداية الطريق الصوفي تيقظ فطرى يوجه النفس الصادقة لأن تدخل في طريق خاص نحو هدف معين وفي مثل هذا الجو المفعم بالصدق والإخلاص والعزيمة القوية في التوجه نحو تحقيق القرب من الله يجب علي النهازين والأدعياء الخروج من زمرة هؤلاء العابدين الصالحين الذين تركوا الدنيا وراء ظهورهم وضحوا بكل غال ونفيس من أجل التقرب إلي الله ونيل لذة المحبة الإلهية والوصول إلي القرب من الذات العلية وهذا ما جعلني احترز في الشطر الأول من التعريف بلفظي الصدق والتوجه لأنه إذا كان الصدق موجود فإن التوجه وحده ليس نهاية ولا غاية بل هو بداية الرحلة

الشاقة المجيدة ، والسفينة في عرض البحر قد يعوقها عـــن الوصول سبب من داخل أو خارج .

ثانيا : تعريفات وسط الطريق

أما التعريفات التي تتحدث عن وسط الطريق الصوفي وهي مرحلة المجاهدات فذلك هو الجانب العملي في الطريق وهو يبدأ بالتحمل بما يرتضيه العرف والدين من فضائل ، يقول أبو محمد الجريري في تعريف التصوف : " التصوف هو الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دني "

ويقول الكتاني:" التصوف خلق ، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الصفاء "

ويقول النوري:" ليس التصوف رسما ولا علما ولكنه خلق لأنه لو كان رسما لحصل بالمجاهدة ولو كان علمـــا لحصل بالتعليم ولكنه تخلق بأخلاق الله ، ولن تستطيع أن تقبل علي الأخلاق الإلهية بعلم أو رسم " .

وله :" التصوف الحرية والكرم وترك التكلف والسخاء

" .، ثم بعد ذلك تأتي خطوة أخري في وسط الطريق الصوفي تتميز بالمبالغة في بعض المظاهر التعبدية كالزهد والصبر والرضا والتوكل والذكر والخلوة والتفرد حتى ليحيلها الصوفي إلي أشياء جديدة في الشكل والمضمون .

يقول سهل بن عبد الله " التصوف قلة الطعام والسكون إلي الله والفرار من الناس"

ويقول سمنون المحب " التصوف ألا تملك شيئا ولا يمتلكك شيء " .. ويقول رويم:" التصوف مبني علي ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالذل والإيثار وترك التعرض والاختيار" .

ويقول أبو عبد الله بن خفيف:" التصوف هو الصبر تحت مجاري الأقدار والرضا بما تعطيه يد الجبار، وقطع الفيافي والقفار" .. ويقول الشبلي:" التصوف ضبط القوي ومراعاة الأنفاس " .. ويقول الداراني:" التصوف أن تجري علي الصوفي أعمال لا يعلمها إلا الحق ، وأن يكون دائما مع الحق علي حال لا يعلمها إلا هو"

ويقول الشبلي أيضا:" هو الجلوس مع الله بلا هم " ..

وينبغي أن يلزم السالك توجهه التمسك بأهداب الشريعة ولهذا حرصت بعض التعريفات أن تؤكد علي هذه المسألة وأن تنبه إليها الأذهان علي شاكلة قول الجنيد" التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع إتباع " .. وله :" التصوف بيت والشريعة بابه "

وإذا كانت الفطرة تتميز منذ البداية بالسلامة والتوجه الصادق فإن ذلك دليل علي أن الله قد اصـطفي عبـده وأعده لخير كثير.. يقول ذو النون:" الصوفية قوم آثروا الله علي كل شيء فآثرهم الله عز وجل علي كل شيء "

ويقول أبو سعيد الخراز" الصوفي من صفي ربه قلبـه فامتلأ نورا ومن حل في عين اللذة بذكره الله" .. ويقول الجنيد:" أن يختصك الله بالصفاء ، فمن أصطفي من كل ما سوي الله فهو الصوفي " .. ويقول الشبلي:" الصوفي منقطع عن الخلق متصل بالحق " ، وخلال هذه المجاهدات قـد يطيء الفتح الإلهي ومعني هذا أن الإقبال علي الله لم يكـن تاماً . يقول أبو يزيد : " لو نظرة إلى رجل أعطى كرامـات حتى يرتقي في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظـروا كيـف

تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة " .

بل إن أبا يزيد" لم يخرج من الدنيا حـــتى اســـتظهر القرآن كله كما ورد في الرسالة القشيرية .

إذن فالصوفية يعدون جهاد النفس هو الجهاد الأكبر ويعتبرون الانتصار علي النفس عـــبر المجاهـــدات أعظـــم الكرامات .

ثالثا : تعريفات نهاية الطريق (المذاقات) :

كما سبق أن أوضحنا أن بداية تعريفنا الجامع للتصوف هي " التصوف تيقظ فطري يوجه النفس الصادقة إلي أن تجاهد " فإننا يمكن هنا أن نستكمل التعريف بما يلـــي " لتحظي بمذاقات القرب الإلهي ومعرفـــة الـــذات الإلهيـــة وكمالاتها"

فماذا نقصد بمذاقات القرب ومعرفة الذات الإلهية ؟.

نجيب علي هذا التساؤل في هدي تعريفات الـــصوفية ففي بيئة التدين التقليدي ليس بين العبد وربه من صلات

أكثر مما بين العابد والمعبود ، أما في التجربة الصوفية حيث تسخر الإرادة بالكلية لتذوب في الإرادة الإلهية بطريق الحب والوجد ، هنا حيث يبذل العمر ويتجمع الجهد ويضطرم الفؤاد بالمحبة الإلهية فالعلاقة أقوي وأكد وأنقي ويمكن أن نتصور تدرج هذه العلاقة بين الصوفي وبين الله عز وجل –في القوة والتأكد والنقاء من خلال التعريفات الآتية :ـ

يقول أبو الحسن المزين:" التصوف الانقياد للحق " .. ويقول الشبلي :" الصوفية أطفال في حجر الحق " .. ويقول رويم:" هو استرسال النفس مع الله تعالي علي ما يريد " .. ويقول الجنيد:" التصوف أن تكون مع الله بلا علاقة " .. ويقول كذلك:" التصوف نعت تقيم فيه ، فلما سئل أهو نعت للحق أم للخلق ؟ أجاب حقه فيه نعت للحق ورسمه نعت للخلق " .. ويقول الحلاج:" الصوفي وحداني الذات لا يقبله أحد ولا يقبل أحد " .

وإذا فهذا الحب الصاعد من قلب العبد نحو الله وهذا الحب الحاني من الله تجاه العبد حب فريد ، قادر علي أن يرقي بالعبد إلي أن يصبح طفلا في حجر الحق ثم يصبح مع

الله بلا علاقة .. ومتي ؟ إذا صار عن الخلق أجنبيا ومن آفات نفسه بريا ومن المساكنات والملاحظات نقيا وأدام في السر مع الله تعالي مناجاته وحق في كل لحظه رجوعه إليه وصار محدثا من قبل الحق سبحانه بتعريف أسراره فيما يجربه من تصاريف أقداره يسمي عند ذلك عارفا وتسمي حالته معرفة .. وبالجملة فبمقدار أجنبيته عن نفسه تحصل معرفته بربه عز وجل كما ورد عن الجنيد في الرسالة القشيرية والصوفي في هذه الحالة يتحدث بلغة قد تبدو مستشنعة غريبة وما ذلك إلا لأنه ينطق بما استهلك فيه وحيث إنه لا يشهد سوي الحق فإنه ينطق به ويصف عنه.

يقول الحلاج:" الصوفي يشير عن الله عز وجل ، والخلق يشيرون إليه تعالي " فهذا الحب الإلهي ينمو ويزداد حتي يصبح المحب فانيا عن كل الأغيار.. ولن يكون ثم سوي المحبوب .. وعندئذ يفاض علي العبد من العلوم والمعارف وتحصل له السعادة العظمي ويمكن تخطيط المسير علي النحو التالي: حب ، فناء ، معرفة .

فالمعرفة هي غاية الطريق الصوفي .. وموضوع هذه

المعرفة هو أجل الموضوعات وأخطرها .. هو " التوحيد " والتوحيد هنا ليس كما يفهم في بيئة التدين العادية إنما هو توحيد ذوقي شعوري فكما يستغرق صاحب الحس الفني في الأثر الفني استغراقا شاملا ، يسلبه الوعي ويدمجه فيما يحس ، كذلك يستولي هذا الاستغراق علي الصوفي العارف المشاهد لأنوار الأبدية وهذا هو الهدف البعيد للصوفي المسلم ، هذا هو الكمال الروحي ، هذا هو القرب من الله وأنه ثمرة طريق شاق من المراقبة والرياضة والمجاهدة .

وهذا التوحيد الشعوري جعل استحضار الله في قلب الصوفي علي الدوام وسيلة لمعرفته معرفة مباشرة فالله حاضر ومشهود فيستدل به علي ما أوجد لا بما أوجد عليه .

والله محبوب فلا الجنة لذاتها مرغوبة ولا النار مرهوبة إنما الجنة وصل المحبوب والنار هجره أنت بالشريعة تعبده ولكنك بالحقيقة تحبه وتشاهده وعلاقتك بالله تعالي ليست علاقة الأجير السوء إنما أنت تود لو انطلقت في مدار العشق منجذبا إلي الحضرة الإلهية التي أفنيت عمرك في التشوف إليها والدأب علي الاتصال المباشر بها باذلا في سبيل ذلك ما

استطعت من مجاهدات والله حان عليك باصطفائه ومننه .

أما التلقين والعبادة الصورية .. وأما مــلء العقــل بالقضايا والأقيسه وأما تحزب المتجادلين كل ذلك فلن يفيد شيئا لأنها خيول تركض علي أديم الأرض ولا نفع فيها ولا قدره لها علي ثبج الماء وهذا الموقف الفريــد في العلاقــة المباشرة بالله لم توضع له في اللغات مفردات خاصة به فلم يكن أمامهم بد من أن ينقلوا إلينا أرادوا أو لم يريــدوا أحاسيسهم في لحظات الذوق والشهود .. إلا أن يستعملوا لغتهم الإنسانية حيث لم ينسلخوا كلية من بشريتهم مهما ترقوا في معراج الوصول ومهما ثملوا من سكر المــذاقات فتكونت لديهم مصطلحات خاصة تــداولوها ولقنوهــا تلاميذهم وأثرت عنهم وامتلأت كتب التصوف بشروحها.

وبذلك يمكن أن نضع تعريفا جامعا للتصوف علي ضوء دراستنا للتعريفات السابقة وهذا التعريف هو :

" التصوف تيقظ فطري يوجه النفس الصادقة إلي أن تجاهد من خلال الشريعة حتى تحظي بمذاقات القرب الإلهي ومعرفة كمالات الذات الإلهية ".

" الطريق الصوفي "
وسيلة للمعرفة الإلهامية

يري الصوفية أن العلم اليقيني أو العلم اللدني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقي معه ريب ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم وأن هذه هي معرفة الأولياء فكل ما لا يعلمه الإنسان علي هذا الوجه ، ولا يتيقنه علي هذا النحو من اليقين ، فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقيني .

ويري الإمام أبو حامد الغزالي وهو من أقطاب الصوفية " أن الطريق إلي إدراك المعرفة علي هذا الوجه ليس العقل بمقاييسه واستدلالاته بل هو البصيرة والقلب فذلك طور وراء العقل " .

أما العقل فمع ثقته به وتقديسه إلي أبعد مدي فمجاله الحس أو مجاله عالم الملك أو الشهادة ومجال البصيرة والمشاهدة عالم الملكوت وهو ما وراء عالم الملك الممثل في السموات والأرض وما بينهما .

وفي كلا الحالتين فالقلب وعاء العلم والمعرفة أو هـــو المرآة التي تنعكس عليها العلوم من هاتين النافذتين نافــذة الحس ونافذة البصيرة .. فإذا للقلب بابان باب مفتوح إلي عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة ، وباب مفتوح إلي الحواس الخمس المتمسكة بعالم الملك والشهادة والأول طريق الأنبياء والأولياء والثاني طريق العلماء ويعقد الغزالي موازنة بين كيفية حصول العلم الحي في القلـــب وحصول العلم الخارج عن مدركات الحس وتقوم هـــذه الموازنة علي أساس أن الإنسان نسخة من العالم أو كمـــا يقول في تعبير آخر له ، أن الإنسان عالم صغير في مقابلة العالم الكبير ، فيمثل القلب بحـــوض محفـــور في الأرض معرض لأن يأتي إليه الماء من ظاهر الأرض عـــن طريـــق جداول صغيرة تصب فيه ويحتمل أيضا أن يحفر أسفله إلي أن يقرب من مستقر الماء الصافي ، فينفجر الماء من أسفل الحوض فيكون ذلك الماء أصفي وأدوم وقد يكون أغـــزر وأكثر فذلك الماء هو العلم وتلك الجداول هي الحـــواس الخمس وهما مثال العلم الحسي وطريقه تحصيله أما ذلـــك الحفر وهذا الماء الذي نبع من باطن الأرض الحوض فهما

مثال العلم علم الأنبياء والأولياء وطريقه هو تطهير القلب .

مراحل الطريق الصوفي

أولا : البداية { المقامات } :

يري الصوفية أن المتصوف لابد له أن يبدأ طريقه إلي القرب من الله باجتياز عدد من المقامات ثم الأحوال ويؤكدون علي أن المقامات هي الباب الذي يدخل منه الصوفي إلي أحوال الحب الإلهي وأهم هذه المقامات التوبة والزهد والصبر والتوكل والرضا وقد يتفرع من كل مقامات أخري ولكن كل المقامات تصب في النهاية في المقامات الرئيسية السابقة .

ويبدأ الطريق الصوفي بالتوبة فالتوبة أصل كل مقام وقوام كل مقام ومفتاح كل حال وهي أول المقامات وهي بمثابة الأرض للبناء فمن لا أرض له لا بناء له ومن لا توبة له لا مقام له ولا حال له ويبدأ المتصوف مقام التوبة بعد صحة الإيمان وعقوده وشروطه .

وفي مبدأ صحتها لابد من وجود زاجـــر ثم بعـــد الإنزجار يجد المتصوف مقام الانتباه وهو مقام متفرع من مقام التوبة وقال أبو زيد " علامة الانتباه خمس إذا ذكر نفسه أفتقر وإذا ذكر ذنبه أستغفر وإذا ذكر الدنيا اعتـــبر وإذا ذكر الآخرة أستبشر وإذا ذكر المولي أقشعر .

وقال بعضهم : الانتباه أوائل دلالات الخير إذا أنتبه العبد من رقدة غفلته أداه ذلك الانتباه إلي التيقظ فإذا تيقظ ألزمه تيقظه الطلب لطريق الرشد وقالوا : التيقظ تبيان خط المسلك بعد مشاهدة سبيل النجاة والتوبة في اســـتقامتها تحتاج إلي المحاسبة ولا تستقيم التوبة إلا بالمحاسبة .

ونقل عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أنه قال : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنـــوا وتزينوا للعرض الأكبر علي الله يومئذ تعرضون لا تخفـــي منكم خافية ، والمحاسبة تتم بحفظ الأنفاس وضبط الحواس ورعاية الأوقات وإيثار المهمات ويعلم التائب أن الله تعالي أوجب عليه هذه الصلوات الخمس في اليوم والليلة رحمـــه منه لعلمه سبحانه بعبده وإستبلاء الغفلة عليـــه كـــي لا

تستعبده وتسرقه الدنيا فالصلوات الخمس سلسلة تجــذب النفوس إلي مواطن العبودية لأداء حق الربوبية ويراقب العبد نفسه بحسن المحاسبة من كل صلاة إلي صلاة أخري ويسد مدخل الشيطان بحسن المحاسبة والرعايــة ولا يــدخل في الصلاة إلا بعد حل العقد عن القلــب بحــسن التوبــة والاستغفار لان كل كلمة وحركة علي خلاف الــشرع تنكت في القلب نكته سوداء تعقد عليه عقدة والمتفقــد المحاسب يهيئ الباطن للصلاة بضبط الجوارح ويحقق مقام المحاسبة فيكون لذلك عند صلاته نور يشرق علي أجــزاء وقته إلي الصلاة الأخرى فلا تزال صلاته منورة تامة بنور وقته ووقته منورا معمور بنور صلاته .

قال الجنيد : من حسنت محاسبته ورعايتــه دامــت ولايته فالمراقبة والرعاية مقامان شريفان من ضرورة مقام التوبة ... ويقول أحد المتصوفة :" أمرنا هذا مبني علــي فصلين وهو أن تلزم المراقبة لله تعالي ويكون العلم علــي ظاهرك قائما " ، وقال آخر :" المراقبــة مراعــاة الــسر لملاحظة الحق في كل لحظة ولفظة قال تعالي (أَفَمَنْ هُوَ

قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) وبالمراقبة يتم حسم مواد الخواطر الرديئة فصار من تمام المراقبة تمام التوبة . وإذا صحت التوبة صحت الإنابة قال إبراهيم بن أدهم إذا صدق العبد في توبته صار منيبا لأن الإنابة ثاني درجة التوبة وقال أبو سعيد القرشي : المنيب الراجع عن كل شيء يشغله عن الله إلي الله .

والنفس إذا تزكت بالتوبة النصوح زالت عنها شراستها للنفس الطبيعية وقلة الصبر من وجود الشراسة للنفس وإبائها واستعصائها والتوبة النصوح تلين النفس وتخرجها عن طبيعتها وشراستها لأن النفس بالمحاسبة والمراقبة تصفو وتنطفئ نيرالها المتأججة بمتابعة الهوى وتبلغ بطمأنينتها محل الرضا وتطمئن في مجاري الأقدار قال أحد الصوفية : لله عباد يستحيون من الله ويتلقفون مواقع أقداره بالرضا تلقفا .. وكان عمر بن عبد العزيز يقول : أصبحت ومالي سرور إلا مواقع القضاء وفي الخبر عن رسول الله صلي الله عليه وسلم { من أخير ما أعطي الرجل الرضا بما قسمه الله تعالي له } .

إذن تجمع التوبة النصوح مقام الزهد والصبر والتوكل والرضا ، والخوف والرجاء مقامان شريفان من مقامات أهل التصوف وهما كائنان في صلب التوبة النصوح لأن خوف المؤمن حمله علي التوبة ولو لا خوفه ما تاب ولو لا رجاؤه ما خاف فالخوف والرجاء يتلازمان في قلب المؤمن ويتعادل الخوف والرجاء للتائب المستقيم في التوبة .. دخل رسول الله صلي الله عليه وسلم علي رجل وهو في سياق الموت فقال "كيف تجدك " قال أجدني أخاف ذنوبي وأرجو رحمه ربي فقال " ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجا منه وآمنه " فالتائب خاف فتاب ورجا المغفرة ولا يكون التائب تائبا إلا وهو راج خائف .. ثم إن التائب حيث قيد الجوارح عن المكاره واستعان بنعم الله علي طاعة الله فقد شكر النعم لأن كل جارحة من الجوارح نعمة وشكرها قيدها عن المعصية واستعمالها في الطاعة وأي شاكر للنعمة أكبر من التائب المستقيم .. إذن فقد جمع مقام التوبة مقامات الطريق الصوفي كلها فقد جمع مقام التوبة مقام الزجر والانتباه ومقام التيقظ ومخالفة النفس والتقوى والمجاهدة ورؤية

عيوب الأفعال والإنابة والصبر والرضا والمحاسبة والمراقبة والرعاية والشكر والخوف والرجاء وإذا صحت التوبة النصوح وتزكت النفس انجلت مرآة القلب وبان قبح الدنيا فيها فيحصل الزهد والزاهد يتحقق فيه التوكل لأنه لا يزهد في الوجود إلا لاعتماده علي الموعود والسكون إلي وعد الله تعالي وكلما يلقي العبد بغيته في تحقق المقامات كلها بعد توبته يستدركه بزهده في الدنيا .. وقد سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن الزهد فقال هو أن لا تبالي بمن أكل الدنيا مؤمن أو كافر .. وسئل الشبلي عن الزهد فقال ويلكم أي مقدار لجناح بعوضة أن يزهد فيها . فإذا صح زهد العبد صح توكله لأن صدق توكله مكنه من زهده في الموجود فمن استقام في التوبة وزهد في الدنيا وحقق هذين المقامين استوفي سائر المقامات وتكون فيها وتحقق.

قال تعالي لنبيه صلي الله عليه وسلم ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾(هود:١١٢) أمره الله تعالي بالاستقامة في التوبة أمر له ولأتباعه ولأمته وقيل لا يكون

المريد مريداً حتى لا يكتب عليه صاحب الـشمال شـيئا عشرين سنة ولا يلزم من ذلك وجود العـصمة ولكـن الصادق التائب في النادر إذا أبتلي بذنب ينمحي أثر الذنب من باطنه لوجود الندم في باطنه علي ذلك والندم توبة فلا يكتب عليه صاحب الشمال شيئا فإذا تاب المتصوف توبة نصوحا ثم زهد في الدنيا حتى لا يهتم في غدائه لعشائه ولا في عشائه لغدائه ولا يري الادخار ولا يكون له تعلق هم بغد فقد جمع في هذا الزهد والفقر والزهد هو أفضل من الفقر وهو فقر وزيادة لأن الفقير عادم الشيء اضـطرارا والزاهد تارك الشيء اختيارا وزهده يحقق توكله وتوكلـه يحقق رضاه ورضاه يحقق الصبر وصبره يحقق حبس النفس وصدق المجاهدة وحبس النفس يحقق خوفه وخوفه يحقـق رجاءه ويجمع بالتوبة والزهد كل المقامات والتوبة والزهد إذا اجتمعا مع صحة الإيمان وعقوده يعوز هذه الثلاثة دوام العمل ، فإذا تحقق المتصوف بالتوبة والزهد ودوام العمل لله يشغله وقته الحاضر عن وقته الآتي أصبح أهلا لأن يدخل مرحله الحب الإلهي وأن تنثال عليه أحوال هذا الحب .

ثانيا : وسط الطريق { الأحوال}

بعد أن يجتاز المتصوف مقامات الطريق من توبة وزهد وورع وخوف ورجاء وصبر وتوكل وأخرها مقام الرضا وثبت حبه لله علي أسس من النقاء والفناء عن الغرض والصدق والتجرد أصبح جديرا بأن تنثال عليه أحوال الحب الإلهي التي يراد بها اختبار قلب العبد وتصفيته عن المشائب حتى يصير كالذهب الخالص لا خبث فيه فكذلك يصفو عن العلل ويخلص لله عز وجل .

والمقصود من محبة الله للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه وتطهير باطنه عن مشاغل الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه ، أما محبه العبد لله فهو ميله إلي إدراك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه فاقد له .

وإن قال أحد أن محبة الله أمر ملتبس فكيف يعرف العبد أنه حبيب الله؟ يقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالي: يستدل علي محبه الله للعبد بعلاماته وقد قال صلي الله عليه وسلم " إذا أحب الله عبدا ابتلاه فإذا أحبه الحب البالغ

إقتناه ـ قيل وما إقتناه؟ قال لم يترك له أهلا ولا مالاً " فعلامة محبه الله للعبد أن يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره وفي الخبر " إذا أحب الله عبدا ابتلاه فإن صبر اجتباه فإن رضي اصطفاه " .

وقال بعض العلماء : إذا رأيتك تحبه ورأيته يبتليك فاعلم أنه يريد يصافيك وقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " إذا أحب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه وزاجرا من قلبه يأمره وينهاه " وقد قال " إذا أراد الله بعبده خيرا بصره بعيوب نفسه" وأخص علامات محبه الله للعبد حبه لله فإن ذلك يدل علي حب الله .

وأما الفعل الدال علي كون العبد محبوبا من الله فهو أن يتولى الله تعالي أمره ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر لأمره والمزين لأخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه .

ويعزو الصوفية تقليب الأحوال إلي أن الله عز وجل يريد أن يعرف عبده المحب أن تذوق حقيقة الإلوهية ليس أمرا هينا يتاح لكل طارق وإنما هو محفوف بالشدائد

والعظائم لا يقوي عليها إلا كل جلد صبور وإلا صاحب كل قدرة علي الاحتمال تنبع أولا من إرادته الذاتية التي انصقلت خلال المقامات وتنبع من فهم واع حصيف بأن ألطاف الله سبحانه وتعالي لا نهاية لها فكل شدة أو عظيمة يعقبها أمن ورخاء فلتات الأقدار بما شاءت ولتجر الريح بالسفينة في أي اتجاه فإن مقدورات الحق سبحانه وتعالي من الألطاف لا نهاية لها فإذا كان حق الحق تعالي العـز وكان الوصول إليه بالتحقيق محالا فالعبد أبدا في ارتقـاء أحواله فلا معني بوصله إليه إلا وفي مقدوره سبحانه ما هو فوقه فيقدر أن يوصله إليه .

وهناك فرق كبير بين أهل القلب الذين يتمرسون بما لا حصر له من التغييرات النفسية والوجدانية والبدنية وبين أهل العقل الذين لا يحسون شيئا في نفوسهم وأبدانهم.

أولئك قوم تحس بالشفقة عليهم وهم يجتازون هذه الدروب غير العادية كأنما يسيرون فوق حبال مـشدودة شاخصة أبصارهم إلي أعلي وتترنح أجسادهم يمنة ويسري حسب تصريف قوي خفية خارجة عنهم ولكنها ممسكة

بزمامهم مسيطرة علي إرادتهم فتأس عليهم وتتلهف عليهم ولكنك كإنسان تكبرهم وتجلهم لأنهم يحققون بطريقتـــهم الخاصة أعظم انتصار للإنسانية وهي تحس خطاها في رحلة مثيرة خطيرة نحو غاية الغايات .. إنهم متعبون دائما نعم وهل كانت الغايات الكبرى تنال بالدعة والراحة ؟ إنهـــم قلقون دائما .. نعم وهل الحب الكبير سكن ؟ .

أحوال الحب الإلهي :

١ـــ القبض والبسط : وهما حالان شريفان من أحوال الحب في الطريق الصوفي قال تعالي ﴿ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ﴾ (البقرة: ٢٤٥) .

والقبض والبسط لهما موسم معلوم ووقت محتـــوم لا يكونان قبله ولا يكونان بعده ووقتهما وموسهما في أوائل حال المحبة الخاصة لا في نهايتها ولا قبل حال المحبة الخاصة فمن هو في مقام المحبة العامة الثابتة بحكم الإيمان لا يكون له قبض ولا بسط وإنما يكون له خوف ورجاء .

فإذا ارتقي المتصوف من حال المحبة العامة إلي أوائــل المحبة الخاصة يصير ذا حال وذا قلب وذا نفــس لوامــة ويتناوب القبض والبسط فيه عند ذلك لأنه ارتقي من رتبة الإيمان إلي رتبة الإحسان وحال المحبة الخاصة فيقبضه الحق تارة ويبسطه أخري قال الواســطي يقبــضك عمالــك ويبسطك فيما له .. وقال النوري: يقبضك بآياك ويبسطك لإياه والقبض والبسط فينعدمان عند صاحب الإيمان لنقصان الحظ من القلب وعند صاحب الفناء والبقاء لقرب تخلصه من القلب .

وعن مظاهر حالي القبض والبسط وأسبابها يقول ابن عطاء السكندري في أحدي حكمه في كتابه الحكم العطائية " قبضك كي لا يبقيك مع البسط وبسطك كي لا يبقيك مع القبض ، وأخرجك منهما كي لا تكون لشيء دونه ". ويشرح ابن عجيبه معاني هذه الحكمة بقوله : البسط فرح يعتري القلوب أو الأرواح إما بسبب قرب شهود الحبيب ، أو شهود جماله بكشف الحجاب عن أوصاف كماله وتجلي ذاته أو بغير سبب ، والقبض حزن وضيق يعتري القلب إما

بسبب فوات مرغوب أو عدم حصول مطلوب ، أو بغير سبب ، وهما يتعاقبان علي السالك تعاقب الليل والنــهار فالعوام إذا غلب عليهم الخوف انقبضوا وإذا غلب عليهم الرجاء انبسطوا ، والخواص إذا تجلي لهم بوصف الجمــال انبسطوا وإذا تجلي لهم بوصف الجلال انقبضوا ، وخواص الخواص أي الواصلين يستوي عندهم الجلال والجمال فلا تغيرهم واردات الأحوال لأنهم بالله ولله ولا لشيء سواه ، فالأولون ملكتهم الأحوال وخواص الخــواص مــالكون الأحوال ، فمن لطفه بك أيها السالك أخرجك من الأغيار ودفعك إلي حضرة الأسرار فإذا أخذك القبض وتمكن فيك الخوف وسكنت تحت قهره وأنست بأمره أخرجــك إلي البسط لئلا يحترق قلبك ويذوب جسمك ، فإذا حبسك البسط وفرحت به وأنست بجماله قبضك لئلا يتركك مع البسط فتسيء الأدب وتجر إلي العطب .

هكذا يسيرك بين شهود جلاله وجماله فإذا شهدت أثر وصف الجلال انقبضت وإذا شهدت أثر وصف الجمــال انبسط ، ثم يفتح لك الباب ، ويرفع بينك وبينه الحجاب

فتتره في كمال الذات ومشهود الصفات فتغيب عن أثــر الجلال والجمال بشهود الكبير المتعال ، فلا جلاله يحجبك عن جماله ولا جماله يحجبك عن جلاله ولا ذاته تحبــسك عن صفاته ولا صفاته تحبسك عن ذاته تشهد جمالــه في جلاله وجلاله في جماله أخرجك عن شهود أثر الجــلال والجمال لتكون عبد الله في كل حال أخرجك عن كــل شيء لتكون حرا من كل شيء وعبدا له في كل شيء .

قال فارس رضي الله عنه : القبض أولا ثم البسط ثانيا ثم لا قبض ولا بسط لأن القبض والبسط لمعان في الوجود وأما مع الفناء فلا .

والقبض والبسط لهما آداب ، فإذا أساء فيهما الأدب طرد إلي الباب أو إلي سياسة الدواب فمن آداب القبض الطمأنينة والوقار والسكون تحت مجاري الأقدار والرجوع إلي الواحد القهار فإن القبض شبيه بالليل والبسط شــبيه بالنهار ومن شأن الليل الرقاد والهدوء والسكون والحنو ، فاصبر أيها المريد واسكن تحت ظلمة ليل القــبض حــتى تشرق عليك شموس نهار البسط إذ لابد للنهار من تعاقب

الليـــل ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ﴾ (الحج:٦١) هذا آداب القبض الذي لا تعرف له ســببا ، وأما إذا عرفت له سببا فارجع فيه إلي مسبب الأسباب ولذ بجانب الكريم الوهاب فهل عودك وإلا حـسنا ، وهــل أسدي إليك إلا مننا فالذي واجهتك منه الأقدار هو الذي عودك حسن الاختيار ، فالذي أنزل الداء هو الذي بيده الشفاء يا مهموم بنفسه لو ألقيتها إلي الله لاســترحت ، ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يقول من أصابه هم أو غم فليقل " الله لا أشرك به شيئا " فإن الله يذهب همــه وغمه فدلنا صلي الله عليه وسلم علي القول والمراد منــه المعني فدواء المقبوض شهود التوحيد والغيبة عن الشرك .

ومن آداب البسط كف الجــوارح عــن الطغيــان وخصوصا جارحة اللسان فإذا أحس المريد بالبسط فليلجم نفسه بلجام الصمت وليتحل بحليه السكينة والوقــار ، ثم ذكر أسباب القبض والبسط وهو العطاء والمنع في الغالب " ربما أعطاك فمنعك وربما منعك فأعطاك : فالغالب علــي النفس الأمارة واللوامة أن تنبسط بالعطاء وتنقبض بــالمنع

لأن في العطاء متعتها وشهواتها فلا شك أنها تنبسط بذلك وفي المنع قطع موادها وترك حظوظها ولاشك أنها تنقبض بذلك وذلك لجهلها بربها وعدم فهمها فلو فهمت عن الله لعلمت إن المنع عين العطاء والعطاء عين المنع فافهم أيها المريد عن مولاك ، ولا تتهمه فيما أولاك ، فربما أعطاك ما تشتهيه النفوس ، فمنعك بذلك حضرة القدوس وربما منعك ما تشتهيه نفسك فيتم بذلك حضورك وأنسك وربما أعطاك متعه الدنيا وزهرتها فمنعك جمال الحضرة وبهجتها وربما منعك زينة الدنيا وبهجتها فأعطاك شهود الحضرة ونظرتها ، وربما منعك من قوت الأشباح فمتعك بقوت الأرواح ، وربما أعطاك إقبال الخلق فمنعك إقبال الحق وربما منعك من إقبال الخلق فأعطاك الأنس بالملك الحق وربما أعطاك عز الدنيا ومنعك عز الآخرة وربما منعك من عز الدنيا وأعطاك عز الآخرة ، قال تعالي ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾ (البقرة:٢١٦) فمتي فتح الله باب الفهم في المنع عاد المنع عين العطاء .

٣ ـ الفناء والبقاء

للمتصوفة أقوال كثيرة في معنى الفناء والبقاء وهـــو الحال الذي يعقب حال القبض والبسط فقد قيل الفناء إن يفني العبد عن الحظوظ فلا يكون له في شيء حظ بل يفني عن الأشياء كلها شغلا بمن فني فيه ، وقد قال عامر بـــن عبد الله لا لأبالي امرأة رأيت أم حائطا ويكون محفوظا فيما لله عليه مصروفا عن جميع المخالفات والبقاء يعقبه.

وقيل الفناء هو الغيبة عن الأشياء كما كان فناء موسي حين تجلي ربه للجبل وقال الخراز: الفناء هو التلاشي بالحق والبقاء هو الحضور مع الحق .. وقـــال الجنيـــد: البقـــاء استعجام الكل عن أوصافك واشتغال الكل منك بكليتـــه وقال إبراهيم بن شيبان علم الفناء والبقاء يـــدور علـــي إخلاص الوحدانية وصحة العبودية وما كان غير ذلك فهو من المغاليط والزندقة وسئل الخراز ما علامة الفاني ؟ قال علامة من ادعي الفناء ذهاب حظه من الدنيا والآخرة إلا من الله تعالي .

ويقول أبو نجيب السهروردي: الفناء المطلق هو مـــا

يستولي من أمر الحق سبحانه وتعالي علي العبد فيغلب كون الحق سبحانه وتعالي علي كون العبد .. والفناء الباطن أن يكاشف العبد تارة بالصفات وتارة بمشاهدة آثار عظمة الذات فيستولي علي باطنه أمر الحق حتى لا يبقى له هاجس ولا وسواس .

ومن أقسام الفناء أن يكون العبد في كل فعل وقول مرجعه إلي الله تعالي وينتظر الإذن في كليات أموره ليكون في الأشياء بالله لا بنفسه فتارك الاختيار منتظر لفعل الحق فان وصاحب الانتظار لإذن الحق في كليات أموره راجع إلي الله بباطنه في جزئياتها فان ومن ملكه الله تعالي اختياره وأطلقه في التصرف يختار كيف شاء وأراد لا منتظر للفعل ولا منتظر للإذن فهو باق والباقي في مقام لا يحجبه الحق عن الخلق ولا الخلق عن الحق والفاني محجوب بالحق عن الخلق .

والفناء الظاهر لأرباب القلوب والأحوال والفناء الباطن لمن أطلق عن وثاق الأحوال وصار بالله لا بالأحوال وخرج من القلب فصار مع مقلبه لا مع قلبه .

(ب) اصطلاحات مشيرة إلي الأحوال في الطريق الصوفي

نورد في هذا الفصل شرح كلمات مشيرة إلي بعض الأحوال في اصطلاح الصوفية .. وقد قال النبي صلي الله عليه وسلم في الحديث الشريف " إن من معادن التقـــوى تعلمك إلي ما قد علمت علم ما لم تعلم والنقص فيمـــا علمت قلة الزيادة فيه وإنما يزهد الرجل في علم ما لم يعلم قلة الانتفاع بما قد علم " .

فمشايخ الصوفية أحكموا أساس التقوى وتعلموا العلم لله تعالي وعملوا بما علموا لموضع تقواهم فعلمهم الله تعالي ما لم يعلموا من غرائب العلوم ودقيق الإشارات واستنبطوا من كلام الله تعالي غرائب العلوم وعجائب الأسرار وترسخ قدمهم في العلم.

قال أبو سعيد الخراز " أول الفهم لكلام الله العمل به لان فيه العلم والفهم والاستنباط وأول الفهم إلقاء السمع والمشاهدة لقوله تعالي ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾(ق:٣٧)، وقال أبو بكر

الواسطي: الراسخون في العلم هم الذين رسخوا بأرواحهم في غيب الغيب وفي سر السر فعرفهم ما عرفهم وأراد منهم من مقتضي الآيات ما لم يرد من غيرهم وخاضوا بحار العلم بالفهم لطلب الزيادة فانكشف لهم من مدخور الخزائن والمخزون تحت كل حرف وآية من الفهم وعجائب النص فاستخرجوا الدرر والجواهر ونطقوا بالحكمة وقد ورد في الخبر عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه قال " إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة بالله " .

ويقول القرشي " هي أسرار الله تعالي يبديها إلي أمناء أوليائه من غير سماع ولا دراسة وهي من الأسرار التي لم يطلع عليها إلا الخواص " .. وقال أبو سعيد الخراز: للعارفين بالله خزائن أودعوها علوما غريبة وأنباء عجيبة يتكلمون فيها بلسان الأبدية ويخبرون عنها بعبارة الأزلية إشارة إلي ألهم بالله ينطقون ، وقد قال تعالي علي لسان نبيه صلي الله عليه وسلم " بي ينطق " ، وهو العلم اللدني الذي قال الله تعالي فيه في حق الخضر ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ

عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾(الكهف:٦٥) .

فمما تداولتة ألسنتهم من الكلمات تفهيما من بعضهم للبعض وإشارة منهم إلي أحوال يجدونها ومعاملات قلبيـــة يعرفونها ومن هذه الكلمات (الاصطلاحات).

الجمع والتفرقة

قيل أصل الجمع والتفرقة قوله تعالي ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ فهذا جمع ثم فرق فقال ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾(آل عمران:١٨) وقوله تعالي (آمَنَّا باللّه) جمع ثم فرق بقوله تعالي (وَمَا أُنْزِلْنَا) والجمع أصل والتفرقة فرع فكل جمع بلا تفرقة زندقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل وقال الجنيد: القرب بالوجد جمع وغيبته في البشرية تفرقة وقيل جمعهم في المعرفة وفرقهم في الأحوال والجمع اتـــصال لا يشاهد صاحبه إلا الحق فمتي شاهد غيره فما جمع والتفرقة شهود لمن شاء بالمباينة .. وعبـــاراتهم كـــثيرة في ذلـــك والمقصود أنهم أشاروا بالجمع إلي تجريد التوحيد وأشاروا بالتفرقة إلي الاكتساب فعلي هـــذا لا جمـــع إلا بتفرقـــة

ويقولون فلان في عين الجمع يعنون استيلاء مراقبة الحق علي باطنه فإذا عاد إلي شئ من أعماله عاد إلي التفرقة وصحة الجمع بالتفرقة وصحة التفرقة بالجمع فهذا يرجع حاصله إلي أن الجمع من العلم بالله والتفرقة من العلم بأمر الله ولابد منهما جميعاً.

وقال بعضهم الجمع عين الفناء بالله والتفرقة العبودية متصل بعضها بالبعض وقد غلط قوم ادعوا أنهم في عين الجمع ، وأشاروا إلي صرف التوحيد وعطلوا الاكتساب فتزندقوا وإنما الجمع حكم الروح والتفرقة حكم القالب ومادام هذا التركيب باقيا فلابد من الجمع والتفرقة .

وقال الواسطي إذا نظرت إلي نفسك فرقت وإذا نظرت إلي ربك جمعت وإذا كنت قائما بغيرك فأنت فان بلا جمع ولا تفرقة وقيل جمعهم بذاته وفرقهم في صفاته وقد يريدون بالجمع والتفرقة إنه إذا أثبت لنفسه كسبا ونظر إلي أعماله فهو في التفرقة وإذا أثبت الأشياء بالحق فهو في الجمع ومجموع الإشارات ينبئ أن الكون يفرق والمكون يجمع فمن أفرد المكون جمع ومن نظر إلي الكون

فرق فالتفرقة عبودية والجمع توحيد فإذا أثبت طاعته نظرا إلي كسبه فرق وإذا أثبتها بالله جمع وإذا تحقق بالفناء فهو جمع الجمع ويمكن أن يقال رؤية الأفعال تفرقـة ورؤيـة الصفات جمع ورؤية الذات جمع الجمع .. سئل بعضهم عن حال موسي عليه السلام في وقت الكلام فقال: أفني موسي عن موسي فلم يكن لموسي خبر من موسي ثم كلم فكان المكلم والمكلم هو كيف يطيق موسي حمل الخطاب ورد الجواب لولا بإياه سمع ومعني هذا أن الله تعالي منحه قوة بتلك القوة سمع ولولا تلك القوة ما قدر علي السمع .

ومن أقوالهم التجلي والاستتار

قال الجنيد : إنما هو تأديـب وتهـذيب وتـذويب فالتأديب محل الإستتار وهو للعوام والتهذيب للخواص وهو التجلي والتذويب للأولياء .. فالاستتار هو إشارة إلي غيبة صفات النفس بكمال قوة صفات القلب أما التجلي فقد يكون بطريق الأفعال وقد يكون بطريق الصفات وقد يكون بطريق الذات والحق تعالي أبقي علي الخـواص موضـع

الإستتار رحمة منه لهم ولغيرهم فأمالهم فلأنهم به يرجعون إلي مصالح النفوس وأما لغيرهم فلأنه لولا مواضع الاستتار لم ينفع بهم لاستغراقهم في جمع الجمع وبروزهم لله الواحد القهار .

قال بعضهم : علامة تجلي الحق للأسرار هو أن يشهد السر ملا يتسلط عليه التعبير ويحويه الفهم فمن عبر أو فهم فهو صاحب استدلال لا ناظر إجلال ، وقال بعضهم التحلي رفع حجبه البشرية لا أن يتلون ذات الحق عز وجل والاستتار أن تكون البشرية حائلة بينك وبين شهود الغيب .

ومن أقوالهم التجريد والتفريد

الإشارة منهم في التجريد والتفريد أن العبد يتجرد عن الأغراض فيما يفعله لا يأتي بما يأتي به نظرا إلي الأغراض في الدنيا والآخرة بل ما كوشف به من حق العظمة يؤديه حسب جهده عبوديا وانقيادا .. والتفريد أن لا يري نفسه فيما يأتي به بل يري منة الله عليه ..

فالتجريد بنفي الأغيار والتفريد بنفي نفسه واستغراقه في رؤية نعمة الله عليه وغيبته عن كسبه .

ومن أقوالهم الوجد والتواجد والوجود

فالوجد ما يرد علي الباطن من الله تعالي يكسبه فرحا أو حزنا ويغيره عن هيئته ويتطلع إلي الله وهو فرحة يجدها المغلوب علي صفات نفسه ينظر منها إلي الله تعالي .

والتواجد استجلاب الوجد بالذكر والتفكر والوجود أتساع فرجة الوجد بالخروج إلي فضاء الوجدان فلا وجد مع الوجدان ولا خبر مع العيان فالوجد بعرضية الزوال والوجود ثابت ثبوت الجبال وقد قيل:

قد كان يطربني وجدي فأقعدني
عن رؤية الوجد من في الوجد موجود
والوجد يطرب من في الوجد راحته
والوجد عند وجود الحق مفقود

ومن أقوالهم الغلبة

والغلبة وجد متلاحق فالوجد كالبرق يبدو والغلبـــة كتلاحق البرق وتواتره يغيب عن التميز فالوجد ينطفـــئ سريعا والغلبة تبقي للأسرار حرزا منيعا.

ومن أقوالهم المسامرة

وهي تفرد الأرواح بخفي مناجاتها ولطيف مناغاتها في سر السر بلطيف إدراكها للقلب لتفرد الروح بها فتلتذ بها دون القلب .

ومن أقوالهم السكر والصحو

فالسكر استيلاء سلطان الحال والــصحو العــود إلي ترتيب الأفعال وتهذيب الأقوال ، قال بعضهم: السكر غليان القلب عند معارضات ذكر المحبوب وقال الواسطي مقامات الوجد أربعة الذهول ثم الحيرة ثم السكر ثم الصحو كمـــن سمع بالبحر ثم دنا منه ثم دخل فيه ثم أخذته الأمواج فعلي

هذا من بقي عليه اثر من سريان الحال فعليه أثر من السكر ومن عاد كل شيء منه إلي مستقره فهو صاح فالسكر لأرباب القلوب والصحو للمكاشفين بحقائق الغيوب .

ومن أقوالهم المحو والإثبات

المحو بإزالة أوصاف النفوس والإثبات بما أدير عليهم من آثار الحب كؤوس أو المحو محو رسوم الأعمال بنظر الفناء إلي نفسه وما منه والإثبات إثباتها بما أنشأ الحق له من الوجود به فهو بالحق لا بنفسه بإثبات الحق إياه مستأنفا بعد أن محاه عن أوصافه . قال ابن عطاء يمحو أوصافهم ويثبت أسرارهم .

ومن أقوالهم علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين

فعلم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان من طريق الكشوف والنوال وحق

اليقين ما كان بتحقيق الانفصال عن لوث الصلصال بورود رائد الوصال .

وقال بعضهم علم اليقين حال التفرقة وعين اليقين حق الجمع وحق اليقين جمع الجمع بلسان التوحيد .. وقيل لليقين اسم ورسم وعلم وعين وحق فالاسم والرسم للعوام وعلم اليقين للأولياء وعين اليقين لخواص الأولياء وحق اليقين للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وحقيقة اليقين اختص بها نبينا محمد صلي الله عليه وسلم .

ومن أقوالهم الوقت

والمراد بالوقت ما هو غالب علي العبد وأغلب ما علي العبد وقته فإنه كالسيف يمضي الوقت بحكمه ويقطع .. وقد يراد بالوقت ما يهجم علي العبد لا بكسبه فيتصرف فيه فيكون بحكمه يقال فلان بحكم الوقت يعني مأخوذ عما منه بما للحق .

ومنها الغيبة والشهود

فالشهود هو الحضور وقتا بصفة المراقبة ووقتا بوصف المشاهدة فمادام العبد موصوفا بالشهود والرعاية فهو حاضر فإذا فقد حال المشاهدة والمراقبة خرج من دائرة الحـــضور فهو غائب وقد يعنون بالغيبة الغيبة عن الأشـــياء بـــالحق فيكون علي هذا المعني حاصل ذلك راجعا إلي حال الفناء.

ومن أقوالهم الذوق والشرب والري

فالذوق إيمان والشرب علم والري حـــال فالـــذوق لأرباب البواده والشرب لأرباب الطوالع واللوائح واللوامع والري لأرباب الأحوال وذلك لأن الأحوال هي التي تستقر فما لم يستقر فليس بحال وإنما هي لوامع وطوالع وقيـــل الحال لا تستقر لأنها تحول فإذا استقرت تكون مقاما .

ومنها المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة

فالمحاضرة لأرباب التلوين والمشاهدة لأرباب التمكين

والمكاشفة بينهما إلي أن تستقر ، فالمحاضرة لأهل العلـم والمكاشفة لأهل العين والمشاهدة لأهل الحق أي حق اليقين.

ومنها الطـوارق والبـوادي والبـاده والواقـع والقادم والطوالع واللوامع واللوائح

وهذه كلها ألفاظ متقارب المعني ويمكن بسط القول فيها ويكون حاصل ذلك راجع إلي معني واحـد يكثـر بالعبارة فلا فائدة فيه ، والمقصود أن هذه الأسماء كلـها مبادئ الحال ومقدماته وإذا صح الحال اسـتوعب هـذه الأسماء كلها ومعانيها .

ومن أقوالهم التلوين والتمكين

فالتلوين لأرباب القلوب لأنهم تحت حجب القلوب وللقلوب تخلص إلي الصفات وللصفات تعدد بتعدد جهاتها فظهر لأرباب القلوب بحسب تعدد الصفات تلوينات ولا تجاوز للقلوب وأربابها عن عالم الصفات وأمـا أربـاب

التمكين فخرجوا عن مشائم الأحوال وخرقوا حجب القلوب وباشرت أرواحهم سطوع نور الذات فارتفع التلوين لعدم التغير في الذات إذ جلت ذاته عن حلول الحوادث والتغيرات فلما خلصوا إلي مواطن القرب من أنصبة تجلي الذات ارتفع عنهم التلوين فالتلوين حينئذ يكون في نفوسهم لأنها في محل القلوب لموضع طهارتها وقدسها والتلوين الواقع في النفوس لا يخرج صاحبه عن حال التمكين لأن جريان التلوين في النفس لبقاء رسم الإنسانية وثبوت القدم في التمكين كشف حق الحقيقة وليس المعني بالتمكين أن لا يكون للعبد تغير فإنه بشر وإنما المعني به أن ما كوشف له من الحقيقة لا يتوارى عنه أبداً ولا يتناقص بل يزيد وصاحب التلوين قد يتناقص الشيء في حقه عند ظهور صفات نفسه وتغيب عنه الحقيقة في بعض الأحوال ويكون ثبوته علي مستقر الإيمان وتلوينه في زوائد الأحوال.

ومن أقوالهم { النفس } بفتح النون والفاء

ويقال النَفَس للمنتهي والوقت للمبتدئ والحال

للمتوسط فكأنه إشارة منهم إلي أن المبتدئ يطرقه من الله تعالي طارق لا يستقر والمتوسط صاحب حال غالب حاله عليه والمنتهي صاحب نفس متمكن من الحال لا يتناوب عليه الحال بالغيبة والحضور بل تكون المواجيد مقرونة بأنفاسه مقيمة لا تتناوب عليه .

ومنها المشاهدة والمعاينة

المشاهدة رؤية الذات اللطيفة في مظاهر تجلياتها الكثيفة فترجع إلي تكثيف اللطيف ، فإذا ترقق الوداد ورجعت الأنوار الكثيفة لطيفة فهي المعاينة فترجع إلي تلطيف الكثيف ، فالمعاينة أرق من المشاهدة وأتم والحاصل أن شهود الذات لا يمكن إلا بواسطة تكثيف أسرارها اللطيفة في مظاهر التجليات ، إذ لا يمكن إدراك اللطيف مادام لطيفا فرؤية التجليات كثيفة مشاهدة وردها إلي أصلها بانطباق بحر الأبدية عليها معاينة وقيل هما سواء .

ومن أقوالهم المعرفة

وهي التمكن من المشاهدة واتصالها ، فهي شــهود دائم بقلب هائم فلا يشهد إلا مولاه ولا يعرج علي أحد سواه مع إقامة العدل وحفظ مراسم الشريعة فهذه حدود المقامات والأحوال قد انتهت في المعرفة .

ومن أقوالهم الحرية

وهي تصفية الباطن من حب غير الحق لا تبقي فيه بقية لغير الله وهذه الحرية الكسبية هي سبب الظفر بالحرية الوهبية وهي غيبة العبد في مظاهر الرب فتنتفــي ظلمــة الحدوث في نور القدم وتختفي قوالب العبودية في تجلــي مظاهر الربوبية ، فيبقي الحق بلا خلق فحينئذ يكتب للعبد عقد الحرية فتكون عبادته وعبوديته شكرا لا قهرا كما قال سيد العارفين صلي الله عليه وسلم " أفلا أكــون عبــدا شكورا " ، وقال إمام هذه الطائفة الجنيد : عبادة العارف تاج علي الرؤوس يعني كمال الكمال .

ومن أقوالهم الولاية

وهي حصول الأنس بعد المكابدة واعتناق الروح بعد المجاهدة وحاصلها تحقيق الفناء في الذات بعد ذهاب حس الكائنات فيفني من لم يكن ويبقي من لم يزل ، فأولها التمكن من الفناء ونهايتها التحقق بالبقاء وبقاء البقاء ويبقي الترقي والإتساع فيها أبدا سرمدا إلي مالا نهاية له ، قال إبراهيم بن أدهم لرجل: أتحب أن تكون لله وليا؟ قال نعم قال لا ترغب في شيء من الدنيا والأخرى وفرغ نفسك لله عز وجل وأقبل بوجهك عليه يرفق عليك ويواليك .

وقال غيره : الولي من كان همه الله وشغله الله وفنائه دائما في الله وتطلق علي ثلاث مراتب : ولاية عامة وهي لأصل الإيمان والتقوى كما في الآية وهي قوله ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾(يونس:٦٢/٦٣) وولاية خاصة وهي لأهل الاستشراف علي العلم بالله ، وولاية خاصة الخاصة وهي لأهل التمكن في معرفة الله علي نعت العيان ، قيل من أولياء الله يا رسول الله؟ قال: " المتحابون في الله "

وفي رواية " الذين نظروا إلي باطن الدنيا حين نظر الناس إلي ظاهرها" الحديث فشمل الحديث ولاية الخاصة وخاصة الخاصة .. وهذه كلها أحوال لأربابها ولهـم منـها ذوق وشرب والله ينفع ببركتهم آمين .

صفة أرباب النهايات في الطريق الصوفي

أرباب النهايات في الطريق الصوفي استقامت بواطنهم وظواهرهم لله وأرواحهم خلصت عن ظلمات النفـوس ووطئت بساط القرب ونفوسهم منقادة مطواعة صالحة مع القلوب مجيبة إلي كل ما تجيب إليه القلوب أرواحهم متعلقة بالمقام الأعلى انطفأت فيهم نيران الهوى وتخمر في بواطنهم صريح العلم وانكشفت لهم الآخرة كما قال رسـول الله صلي الله علي وسلم في حق أبي بكر رضي الله عنه " من أراد أن ينظر إلي ميت يمشي علي وجه الأرض فلينظر إلي أبي بكر " إشارة منه عليه الصلاة والسلام إلي ما كوشف به من صريح العلم الذي لا يصل إليه عوام المؤمنين إلا بعد الموت حيث قال الله تعالي ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ

ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾(ق:٢٢) .

أرباب النهايات ماتت أهويتهم وخلصت أرواحهم ، قال يحيي بن معاذ وقد سئل عن وصف العارف فقال رجل معهم بأئن منهم وقال مرة : عبد كان فبان فأرباب النهايات هم عند الله بحقيقتهم معوقين بتوقيت الأجل جعلهم الله تعالي من جنوده في خلقه بهم يهدي وبهم يرشد وبهم يجذب أهل الإرادة كلامهم دواء ونظرهم دواء ظاهرهم محفوظ بالحكم وباطنهم معمور بالعلم .

قال ذو النون : " علامة العارف ثلاثة لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ولا يعتقد باطنا من العلم ينقض عليه ظاهرا من الحكم ولا يحمله كثرة نعم الله وكرامته علي هتك أستار محارم الله "، فأرباب النهايات كلما ازدادوا قربا وكلما ازدادوا جاها ورفعة ازدادوا تواضعا وذلة أذلة علي المؤمنين أعزة علي الكافرين وكلما تناولوا شهوة من شهوات النفوس استخرجت منهم شكرا صافيا ، يتناولون الشهوات تارة رفقا بالنفوس لأنها معهم كالطفل الذي يلطف بالشيء ويهدي له شيء لأنه مقهور تحت السياسة

مرحوم ملطوف به .. وتارة يمنعون نفوسهم الشهوات تأسياً بالأنبياء واختيارهم للتقلل من الشهوات الدنيوية : قال يحيي بن معاذ الدنيا عروس تطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها والعارف بالله منشغل بسيده ولا يلتفت إليها .

والمنتهي مع كمال حاله لا يستغني أيضا عن سياسة النفس ومنعها الشهوات وأخذ الحظ من زيادة الصيام والقيام وأنواع السير وقد غلط في ذلك خلق وظنوا أن المنتهي استغني عن الزيادات والنوافل ولا علي قلبه من الاسترسال في تناول الملذات والشهوات وهذا خطأ لا من حيث أنه يحجب العارف عن معرفته ولكن يوقف عن مقام المزيد وقوم لما رأوا أن هذه الأشياء لا تؤثر فيهم قسوة ولا تورثهم حجبه ركنوا إليها واسترسلوا فيها وقنعوا بأداء الفرائض واتسعوا في المأكل والمشرب وهذا الانبساط منهم بقية من سكر الأحوال وتقيد بنور الحال وعدم التخلص بالكلية إلي نور الحق ومن تخلص من نور الحال إلي نور الحق يذهب عنه بقايا السكر ويوقف نفسه مقام العبيد

كأحد عوام المؤمنين يتقرب بالصلاة والصوم وأنواع البر حتى بإماطة الاذي عن الطريق ولا يستكبر ولا يستنكف أن يعود في صور عوام المؤمنين من إظهار الإرادة بكل بر وصلة وهذا باب غامض دخل في النهايات من ذلك دواخل ووقع الركون وانسد به باب المزيد .

فالمنتهي ملك ناصية الاختيار في الأخذ والترك ولابد له من أخذ وترك في الأعمال والحظوظ ففي الأعمال لابد له من أخذ وترك فتارة يأتي بالأعمال كآحاد الصادقين وتارة يترك زيادة الأعمال رفقا بالنفس وتارة يأخذ الحظوظ والشهوات رفقا بالنفس وتارة يتركها فيكون في ذلك كله مختارا .. وإذا استقرت النهاية لا يتقيد بالأخذ ولا بالترك بل يترك وقتا واختياره من اختيار الله ويأخذ وقتا واختياره من اختيار الله .. وكل حال يستقر ويستقيم يشاكل حال رسول الله صلي الله عليه وسلم وهكذا كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يقوم من الليل ولا يقوم الليل كله ويصوم من الشهر ولا يصوم الشهر كله غير رمضان ويتناول الشهوات ولما قال الرجل إنني عزمت أن لا آكل

اللحم قال فإني آكل اللحم وأحبه ولـــو ســـألت ربي أن يطعمني كل يقوم لأطعمني فالمنتهي يحاكي حالــه حـــال رسول الله صلي الله عليه وسلم في دعاء الخلق إلي الحـــق فكل ما كان يعتمده وكل من يحتاج إلي صحة الجلوة لابد له من خلوة صحيحة بالحق حتي تكون جلوته في حمايـــة خلوته .

قيل لمحمد بن الفضل حاجة العارفين إلي ماذا قـــال حاجتهم إلي الخصلة التي كملت بها المحاسن كلها ألا وهي الاستقامة وكل من كان أتم معرفة كـــان أتم اســـتقامة فاستقامة أرباب النهايات علي التمام والعبد في إلا ابتداء مأخوذ في الأعمال محجوب بها عن الأحوال وفي التوسط محفوظ بالأحوال فقد يحجب عن الأعمال وفي الانتهاء لا تحجبه الأعمال عن الأحوال ولا الأحوال عن الأعمـــال وذلك هو الفضل العظيم وهذا يكون للمنتهي المراد المأخوذ في طريق المحبوبين تنجذب روحه إلي الحضرة الإلهية وتستتبع القلب والقلب يستتبع النفس والنفس تستتبع القالب فيكون بكليته قائما بالله ساجدا بين يدي الله ، كما قال رسول

الله صلي الله عليه وسلم " سجد لك سوادي وخيـــالي " وقال الله تعالي ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾(الرعد:١٥) والظـــلال القوالب تسجد بسجود الأرواح وعند ذلك تسري روح المحبة في جميع أجزائهم وأبعاضهم فيتلذذون ويتنعمون بذكر الله تعالي وتلاوة كلامه محبه وودا فيحبهم الله تعالي ويحببهم إلي خلقه نعمة منه عليهم وفضلاً ، كما ورد في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " إن الله تعالي إذا أحب عبدا نادي جبريل إن الله تعالي قد أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي جبريل في السماء إن الله قد أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في الأرض " .

أدعياء التصوف

التصوف أمر ما خفي منه أضعاف ما ظهر ، لأنــه يتعلق بالقلوب والأرواح والنفوس ، ولا يــدور حــول الأشكال والظواهر ، ولذلك تكثر في ميادينه الــدعاوى مابين صادقة وكاذبة ، ولعل هذا هو السبب في اختلاط الصادقين بالكاذبين في هذا المجال ، وعدم تبين الموصولين بأسباب الله من المفترين والمدعين والمحترفين .

وهذا الطوسي المتوفى سنة ثمان وسبعين وثلاثمائــة ، وصاحب كتاب اللمع أول كتاب وضع في التصوف يخبرنا بأن هناك من يتشبه بالصوفية ويتسمى باسمهم عن طريق الادعاء فكيف لو أدرك أزمانا بعد زمانه طفح فيها الكيل وزاد الويل .

لقد قال بعض المعاصرين الذين هالهم الادعاء في هذا الميدان " كان التصوف حالا فصار كارا ، وكان احتسابا فصار اكتسابا ، وكان استتارا فصار اشتهارا وكان إتباعا للسلف فصار إتباعا للعلف ، وكان عمارة للصدور فصار عمارة للغرور ، وكان تعففا فصار تكلفا ، وكان تخلقــا

فصار تملقا ، وكان سقما فصار لقما ، وكان قناعة فصار فجاعة ، وكان تجريدا فصار ثريدا " .

وابن تيمية يري أن الصوفية ثلاثة أقسام : فهنـــاك صوفية الحقائق وهم المستقيمون والصادقون والقسم الثاني : صوفية الأرزاق وهم الذين يتمتعون بأوقاف الخوانق (جمع خانقاه) وكانت تطلق علي دور الـــصوفية" والتكايـــا ، والحقيقي بين هؤلاء نادرا عزيز ولكي يصبح الواحد من هؤلاء جديرا باسم الصوفية عليـــه أن يـــؤدي الفـــرائض ويتجنب المحارم ، وأن يتأدب بالآداب الشرعية وألا يكون متمسكا بفضول الدنيا ، وأما من كان جماعا للمـــال أو كان غير متخلق بالأخلاق المحمودة ، ولا يتأدب بالآداب الشرعية فإنه لا يستحق ذلك والقسم الثالث " صـــوفية الرسم " أي صوفية الشكل والظاهر وهم المقتصرون علي النسبة فهمهم اللباس مع الادعاء .

وبسبب هذا القسم الثالث رأينا مـــن يعلـــو في ذم التصوف والصوفية والصواب كما يقول ابن تيميـــة " أن الصوفية مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل

طاعة الله ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده واجتباء الله له ، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين وفي كل من الصنفين من يجتهد فيخطأ وفيهم من يذنب ويتوب ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة ولكنهم عند المحققين ليسوا منهم .

ولو كان الصوفية كلهم علي ضلال لما رأينا الأعلام السابقين والمتأخرين يتحدثون عن التصوف وينوهون بشأنه إذا اعتدل واستقام فقديماً تكلم الإمام أحمد بن حنبل عن التصوف ، كما تكلم عنه ابن تيمية في كتابه " الصوفية والفقراء " وابن القيم في كتابه الجليل " مدارج السالكين " وحجة الإسلام أبو حامد الغزالي في كتابه العظيم " إحياء علوم الدين " وغيرهم وغيرهم وتكلم من المتأخرين عن أثر التصوف الإمام محمد عبده وتلميذه الأكبر السيد محمـــد رشيد رضا وغيرهم كثيرون .

التصوف والشريعة

إن أكبر مشكلة تقف في وجه الصوفية هي مشكلة ما يثار من خلاف بين موقف الشريعة من التـصوف أو موقف التصوف من الشريعة .. والمراد بالشريعة هنا: هو الفقة بإحكامه الواضحة المحددة والمراد بالحقيقة هو التصوف بخطراته وأحواله المبهمة الغامضة والشريعة يـدخل بابهـا الجميع و الحقيقة يدخل بابها الخاصة ، والصوفية الأخلاء الخلصاء يعتقدون أن كل مأمور به في الشرع هم مأمورون به وكل منهي عنه في الشروع هم منهيون عنه .. ولكن هناك مباحات يمنع الصوفية أنفسهم عنها ، وهناك أمـور تليق بغيرهم ولا تليق بهم علي حد القول المأثور " حسنات الأبرار سيئات المقربين " ونذكر علي ذلك أحد الأمثلة ، فقد قيل البعض الصوفية: كم تجب الزكاة في مائتي درهم ؟ فقال : أما علي العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع ونحن نري الصوفية في هذا المجال يتعرضون لألوان من الهجوم العنيف فيقال عنهم إنهم لا يتقيدون بالشريعة ولا يترلون علي حكم الكتاب والسنة

مع أن ابن خلدون يري أن علم الشريعة له مفهوم عـــام يضم تحت جناحيه صنفين : الأول مخصوص بالفقهاء وهو أحكام العبادات والمعاملات وصنف مخصوص بالصوفية وهو الكلام في الأذواق والمجاهدة ومحاسبة النفس ، ولو قبلنا هذا التقسيم لاقتربنا كثيرا من منطقة التوفيق بين هؤلاء وهؤلاء.

ومع هذا نحن نعود إلي أئمـــة الـــصوفية فنجـــدهم يؤكدون أن التصوف الذي يؤمنون به ويمارسون ويدعون إليه أساسه الخضوع لكتاب الله تعالي وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم وهذا يستلزم التقيد بالشريعة .

يقول الجنيد سيد الصوفية وإمامهم :" مذهبنا هـــذا مقيد بأصول الكتاب والسنة " وفي رواية :" علمنا هـــذا مشيد علي الكتاب والسنة " وكذلك نراه يقول " الطرق كلها مسدودة علي الخلق إلا من اقتفي أثر الرسول صلي الله عليه وسلم " ويقول :" من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدي به في هذا الأمر لأن علمنا هذا مقيـــد بالكتاب والسنة " .

وقال سري السقطي :" من ادعي بـــاطن حقيقـــة

ينقصها ظاهر حكم فهو غالط " ويقول إبراهيم النصر أبادي :" أصل هذا المذهب ملازمة الكتاب والسنة ، وترك الأهواء والبدع والتمسك بالأئمة والإقتداء بالسلف وترك ما أحدثه الآخرون ، والمقام علي ما سلك الأولون " .

وقال إسماعيل بن نجيد :" التصوف الصبر تحت الأمر والنهي " ، وقال أحمد بن الحواري :" من عمل بلا إتباع سنة فباطل عمله " ، وقال أبو زيد البسطامي :" لو نظرتم إلي رجل أعطي الكرامات حتي يرتفع في الهواء فلا تغتروا به ، حتي تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي ، وحفظ الحدود والشريعة " .

وقال عبد الله بن المبارك :" لا يظهر علي أحد شيء من نور الإيمان إلا إتباع السنة ومجانبة البدعة ، وكل موضع تري فيه اجتهادا ظاهرا بلا نور فاعلم أن ثمة بدعة خفية " ، ومن شعارات الصوفية قولهم :" من تشرع ولم يتحقق فقد تفسق ، ومن تحقق ولم يتشرع فقد تزندق ، ومن تشرع ثم تصوف فقد تحقق " ، ومراتب الوصول إلي الله عند الصوفية علي ثلاث مراحل : إسلام فإيمان فإحسان

، فالعبد مادام مشغولا بالعبادة وحدها فهو في مقام الإسلام أو مقام الشريعة ، فإذا انتقل العمل إلي القلب بالتصفية والتحلية من الشر والتحلية بالخير وتحقق بالإخلاص فهو في مقام الإيمان أو مقام الطريقة وإذا بلغ الإنسان مرتبة العبادة لله كأنه يراه فهو في مقام الإحسان أو مقام الحقيقة ولذلك يقولون :" الشريعة أن تعبده ، والطريقة أن تقصده ، والحقيقة أن تشهده " .

وأخيرا يقول ابن عجيبة الحسني " رأيت كثيرا من الفقراء قصروا في العمل بالشريعة ، فخرجوا من الطريقة وسلبوا أنوار الحقيقة ، ورأيت آخرين طال أمدهم في صحبة القوم ولم تظهر عليهم بهجة المحبين ولاسيما العارفين ، وما ذلك إلا لعدم التحقق بمراسم الشريعة في سلوكهم " .

مفهوم العبادات لدي الصوفية

يحرص الصوفية علي أداء العبادات من صلاة وزكاة وصيام وحج ولكنها تكتسب لديهم زخما جديدا ومعاني

أعمق إذ يربطون فيها بين حركات الظاهر وتجليات الباطن وهم يعتبرون أركان عبادتي الصلاة والحج تمثل مراحل طريقهم التي قطعوها مرحلة مرحلة حتى تنعموا بالوصل وظفروا بنعيم القرب من الله عز وجل .

الصلاة

الصلاة في اللغة بمعني الذكر والانقياد وهي في جريان عبارات الفقهاء عبارة مخصوصة تطلق علي هذه الأحكام المعتادة وهي أمر من الحق تعالي أن : أقيموها خمس مرات ولها شروط قبل الدخول فيها ، أولها : الطهارة من النجاسة في الظاهر ومن الشهوة في الباطن ، والثاني : طهارة الثوب من النجاسة في الظاهر وأن يكون من وجه الحلال في الباطن ، والثالث : طهارة الروح من الحوادث والآفات في الظاهر ومن الفساد والمعصية في الباطن ، والرابع : استقبال القبلة فقبلة الظاهر الكعبة وقبلة الباطن العرش ، وقبلة السر المشاهدة ، والخامس : قيام الظاهر في حال القدرة وقيام الباطن في روضة القربة ، بشروط دخول

وقتها في ظاهر الشريعة ودوام وقتها في درجة الحقيقة ، والسادس : خلوص النية في استقبال الحضرة ، والسابع : التكبير في مقام الهيبة ، والقيام في محل الوصلة والقراءة بترتيل وعظمة والركوع بخشوع والسجود بتذلل والتشهد باجتماع ، والسلام بفناء الصفة .

والصلاة عبادة يجد فيها الصوفية طريق الحق من البداية إلى النهاية وتكشف فيها مقاماتهم : فالطهارة للصوفي في مكان التوبة والتعلق بشيخ في مكان التوجه إلى القبلة والقيام بمجاهدة النفس في مكان القيام ودوام الذكر في مكان القراءة والتواضع في مكان الركوع ، ومعرفة النفس في مكان السجود ، والتشهد في مكان مقام الأنس والسلام في مكان التفريد من الدنيا والخروج من قيد المقامات ولذلك فإن الرسول صلى الله عليه وسلم حين كان ينقطع عن كل المشارب ، كان يطلب الشوق في محل كمال الحيرة ويتعلق بالمشرب الأسنى ، وعندئذ كان يقول " أرحنا بالصلاة يا بلال " .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : " جعلت قرة

عيني في الصلاة " أي أن كل راحتي في الـصلاة ، لأن مشرب أهل الاستقامة يكون في الصلاة .. وكان ذلك أنه حين عرج بالرسول صلى الله عليه وسلم وبلـغ درجـة القرب ، انقطعت نفسه عن الكون ووصـلت إلى تلـك الدرجة التي كان فيها قلبه : فوصلت النفس إلى درجـة القلب والقلب إلى درجة الروح والروح إلى محل الـسر ، وفني السر عن الدرجات ، ومحي عن المقامات ، وبقى بلا دلالة من الدلالات ، وغاب عن المشاهدة في المـشاهدة وتلاشى المشرب الإنساني واحترقـت المـادة النفـسانية وانعدمت القوة الطبيعية وصارت الشواهد الربانية عيانا في ولايته فلم يبق من نفسه بنفسه ، ووصل المعني إلي المعني وانمحي في كشف لم يزل واختار بتشوق بلا اختيـاره ، وقال :" يا إلهي إلا ترجعني إلي دار البلاء ثانية ولا تلـق بـي في قيد الطبع و الهوى " ، فجاءه الأمر هكذا حكمنا أن تعود إلي الدنيا لإقامة الشرع ، لنعطيك هنالك أيضا ما اعطيناكه هنا .. فلما عاد إلي الدنيا كان كلما أشتاق إلي ذلك المقام المعلي يقول ": أرحنا بالصلاة يا بلال " فكانت كل صلاة معراجا له وقربه ، فكان الخلق يرونه في الصلاة

وكانت روحه في صلاة ، وقلبه في مناجاة وسره في تحليق ونفسه في انصهار حتى صارت الصلاة قرة عينه فكان جسده في الملك وروحه في الملكوت ، كان جسده إنسيا وروحه في محل الأنس .

فأهل المجاهدة وأهل الاستقامة يكثرون من الصلاة كذلك يأمر المشايخ المريدين بكثرة الصلاة لتعويد الجسد علي العبادة وأهل الاستقامة أيضا يصلون كثيرا لشكر القبول في الحضرة .

ويقول الصوفية " إن الملائكة دائما في الطاعة والعبادة مشربهم من الطاعة وغذاؤهم من العبادة ، لأنهم روحانيون ولا نفوس لهم ، والزاجر والمانع للعبد عن طاعة الله هو النفس الأمارة بالسوء ، وكلما زيدت قهرا يصير طريق التعبد أيسر وحين تفني النفس يصير غذاؤه ومشربه العبادة مثل الملائكة .

الزكـــاة

الزكاة من أحكام فرائض الإيمان على الشخص الذي تجب عليه ، ولا وجه للإعراض عنها .

والزكاة تجب على إتمام النعمة ، فعندما تكون مائتا درهم ــ وهي نعمة تامة تحت تصرف شخص بحكم الملك فإنه يجب عليه خمسة دراهم بعد مرور سنة ــ وخمسة من الإبل نعمـــة تامة ويجب عليها كبش ، وما شابه ذلك من الأموال .

ولكن للجاه أيضاً زكاة كما للمال ، لأنه أيضاً نعمة تامة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ": إن الله تعالى فرض عليكم زكاة جاهكم كما فرض عليكم زكاة مالكم " ، وأيضاً قوله صلى الله عليه وسلم " إن لكل شئ زكاة ، وزكاة الدار بيت الضيافة " .

وحقيقة الزكاة أداء شكر النعمة من جنس النعمة .. والصحة نعمة عظيمة ولكل عضو زكاة ، وذلك أن يجعل الإنسان كل أعضائه مستغرقة في الخدمة ومشغولة بالعبادة ، ولا يميل إلى أي لهو أو لعب حتى يكون قد أدى حـــق زكاة النعمة .

وللنعم الباطنة أيضاً زكاة ، ولا يمكن إحصاء حقيقتها لكثرتها ، فينبغي لها زكاة أيضاً تناسبها ، وذلك عرفـــان النعمة الظاهرة والباطنة ، وإذا عرف العبد أن نعمة الحق تعالى عليه لا حدود لها ، فإنه يجب عليه زكاة النعمة التي لا حدود لها وشكر لاحد له.

وفى الجملة فإن زكاة النعمة والدنيا عند هذه الطائفة (الصوفية) غير محمودة لأن البخل غير محمود ويجب البخل التام ليحوز شخص مائتي درهم ويحبسها تحت تصرفه سنة وعندئذ يخرج منها خمسة دراهم ، ولما كان طريق الكرماء بذل المال وسيرتهم السخاء فعلى أي مال تجب الزكاة ؟.

وفى الأثر أن واحدا من علماء الظاهر سأل العـــارف بالله أبو بكر الشبلى عن الزكاة قائلاً : ما الذي يجب أن يعطى من الزكاة ؟ قال : حين يكون البخـــل موجـــوداً ويحصل المال فيجب أن يعطى خمسة دراهم عن كل مائتي درهم ، هذا في مذهبك أما في مذهبنا فيجب إلا تملـــك شيئاً حتى تتخلص من مشغلة الزكاة .

فسأله من إمامك في هذه المسألة ؟ قال : أبو بكـــر

الصديق رضي الله عنه لأنه أعطي كل ما كان يملك فقال لــه رسول الله صلي الله عليه وسلم ": ما خلفت لعيالك " ؟ ــ قال " الله ورسوله " .

ويروى عن أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه أنه قال في قصيدة ما يلي:

فما وجبت علي زكاة مال

وهل تجب الزكاة علي جواد ؟

فأموال الكرماء مبذولة ، ودماؤهم مهدرة ، فلاهم يبخلون بالمال ولا هم يختصمون علي الدماء لأنهم ليس لهم ملك .

الصيــــام

قـــال تعـــالي : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾(البقرة:١٨٣) ، وقال النبي صلي الله عليه وسلم خبرا عن الله عز وجل ": (الصوم لي وأنا أجزي بـــه) لأنه عبادة سرية لا تتعلق قط بالظاهر وليس للغير فيهـــا نصيب ، وجزاؤها بلا نهاية .

وقيل أن دخول الجنة للخلق بالرحمة ، والدرجة بالعبادة ، والخلود بجزاء الصوم لأنه الله عز وجل قال " أنا أجزي به " .

وقال الجنيد إمام طائفة الصوفية رضي الله عنه :" الصوم نصف الطريقة " وكان كثير من مشايخ الصوفية يصومون دون أن يعلم أحد به ومنهم لم يصوموا غير رمضان ، فأولئك طلباً للأجر ، وهؤلاء تركا للاختيار والرياء .

وحقيقة الصوم هي الإمساك ، والطريقة كلها مضمرة في هذا ، وأقل درجة في الصوم هي الجوع " طعام الله في الأرض " والجوع محمود بجميع الألسنة بين الخلق شرعا وعقلا ، ويجب صوم شهر علي العاقل ، البالغ ، المسلم ، الصحيح ، المقيم وبدايته من رؤية هلال رمضان أو كمال شهر شعبان ويلزم لكل يوم النية الصحيحة والشرط الصادق .

وللإمساك شروط فكما أنك تحفظ الجوف من الطعام والشراب ، فإنه يجب أن تحفظ العين من النظر إلي الحرام

والشهوة ، والأذن من الاستماع إلي اللهو والغيبة واللسان من قول اللغو والآفــة ، والجسد من متابعة الدنيا ومخالفة الشرع ، وعندئذ يكون هذا هو الصوم الحقيقي ، كما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :" إذا صــمت فليــصم سمعك وبصرك ولسانك ويدك وكل عضو فيك " ، وقوله صلي الله عليه وسلم " رب صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش " .

وأصل أربعينية الصوفية يتعلق بحال موســي عليــه السلام، ويصح في مقام المكالمة وحين يريدون أن يسمعوا كلام الله عز وجل بالسر فإنهم يجوعون أربعين يومــا ، وحين تمر ثلاثون يوما يستاكون ، ويظلون بعد ذلك عشرة أيام أخر .

فيتحدث الله عز وجل إلي أسرارهم لأن كل ما يجوز للأنبياء علي الإظهار يجوز للأولياء على الأسرار ، فلا يجوز سماع كلامه سبحانه وتعالى بالسر مع بقاء الطبع وينبغي للطبائع الأربع نفى المشرب والغذاء أربعين يومــا لتقهــر وتكون كل الولاية لصفاء المحبة ولطائف الروح .

الحج

قوله تعالي : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾(آل عمران:٩٧) والحج من الفرائض المفروضة فرض عين علي العبد في حالة صحة العقل والبلوغ والإسلام وحصول الاستطاعة ويكون ذلك بالإحرام بالميقات ، وطواف الزيارة والسعي بين الصفا والمروى والوقوف بعرفات الخ .. " ويسمون الحرم حرما لأن فيه مقام إبراهيم ولأنه محل الأمن وقد كان لإبراهيم عليه السلام مقامان : أحدهما مقام الجسد والآخر مقام القلب ، فمقام الجسد هو مكة ، ومقام القلب هو الخلة ، وكل من يقصد مقام جسده يجب أن يعرض عن جميع الشهوات واللذات ليكون محرما ، ويلبس الكفن ويكف اليد عن الصيد الحلال ، ويقيد جميع الحواس ، ويحضر في عرفات ، ويذهب من هناك إلي المزدلفة والمشعر الحرام ، ويأخذ الجمرات ويطوف بالكعبة في مكة ، ويذهب إلي مني ويبقي هناك ثلاثة أيام ، ويرمي الجمرات بشروطها ، وهناك يطلق شعره ويضحي ويرتدي ملابسه ليكون حاجاً.

وأيضا عندما يقصد شخص مقام قلبه يجب عليه أن يعرض عن المألوفات بترك اللذات والراحات ، ويحرم عن ذكر الغير ــ ومن هناك يكون الالتفات إلي الكون محظورا ، وعندئذ يقوم بعرفات المعرفة ، ويقصد من هنـــاك إلي مزدلفة الألفة ، ويبعث سره من هناك لطواف حرم تنــزيه الحق ، ويرمي جمرات الهوى والخواطر الفاسدة بمني الأمان ، ويقدم النفس قربانا في مذبح المجاهدة ، حتى يصل إلي مقام الخلة ، فيكون دخول ذلك المقام أمانا من الأعــداء وسيوفهم ، ودخول هذا المقام أمانا من القطيعة وأخواهما .

جاء رجل إلي الجنيد رضي الله عنه فقال له الجنيد : من أين جئت ؟ فقال : كنت في الحج ، قال هل حججت ؟ ، قال : نعم ، قال: هل رحلت عن جميع المعاصي منذ خرجت في البداية من بيتك ورحلت عن وطنك ؟ ، فقال: كــلا . قال: لم ترحل ثم قال : حين خرجت من البيت وأقمت كل ليلة بمترل ، هل قطعت في هذا المقام مقاما من مقامات طريق الحق؟ فقال : كــلا ، قال لم تقطع مترلا ، ثم قال : حينما أحرمت في المقيات ، هل تجــردت مــن

صفات البشرية كما تجردت من ثيابك ؟ فقال : كلا ، قال : إذن لم تحرم ، ثم قال : حين وقفت بعرفات ، هل لاح الوقت في كشف المشاهدة ؟ فقال : كلا ، قال : إذن لم تقف بعرفات . وقال : حين ذهبت إلي المزدلفة وحصل مرادك ، هل تركت جميع الرغبات النفسانية ؟ فقال : كلا . قال : لم تذهب إلى المزدلفة ، وقال : حين طفت بالكعبة هل رأيت سرك في محل تنزيه لطائف حضرة جمال الحق ؟ فقال : كلا. قال لم تطف ، ثم قال : حين سعيت بين الصفا والمروة ، هل أدركت مقام الصفاء ودرجة المروءة ؟ فقال : كلا . قال : إنك لم تسع بعد ، وقال : حينما جئت إلى منى ، هل سقط عنك مناك ؟ فقال : كلا . قال : لم تذهب إلى منى بعد ، ثم قال : عندما ضحيت في المنحر هل ضحيت برغبات نفسك ؟ فقال : كلا . قال فلم تضح وقال : عندما رميت الجمرات ، هل رميت كل ما صحبت من المعاني النفسية ؟ فقال : كلا . قال : فلم تلق الجمرات بعد ، ولم تحج ، فعد وحج على هذا النحو حتى تصل إلى مقام إبراهيم .

وقد روي أن أحد المتصوفة جلس أمام الكعبة وأخذ يبكي ويقول :

وأصبحت يوم النفر والعيس ترحل
وكان حدي الحادي بنا وهو معجل
أسايل عن سلمى فهل من مخبر
بأن له علماً بها أين تنـــزل
لقد أفسدت حجي ونسكي وعمرتي
وفي البين لي شغل عن الحج مشغل
وسأرجع من عامي لحجة قابل
فإن الذي قد كان لا يتقبل

ختـــام

خير ما نختم به هذه النفحات الصوفية الدعاء القرآني الذي ورد في آخر سورة البقرة :" ربنا لا تؤاخـــذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته علي الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وأعف عنا وأغفر لنا ارحمنا أنت مولانا فانصرنا علي القوم الكافرين "

ودعـــاء الرسول صلي الله عليه وسلم في الحـــديث الذي رواه الإمام مسلم " اللهم أجعل في لساني نـــورا ، وأجعل في قلبي نورا ، وأجعل في بصري نورا ، وأجعل في سمعي نورا ، وأجعل من أمامي نورا ، وأجعل من خلفي نورا ومن فوقي نورا ومن تحتي نورا ، واللهم أعطني نورا يا نور السماوات والأرض " .

ودعـــاء حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغـــزالي " نسأل الله العظيم أن يجعلنا ممن آثره واجتباه ، وأرشده إلي الحق وهداه ، وألهمه ذكره حتى لا ينساه ، وعصمه من شر نفسه حتى لا يؤثر عليه سواه ، واستخلصه لنفسه حتى لا يعبد إلا إياه " .

أهــــم المصادر والمراجـع :

القرآن الكريم

ابن تيمية : مجموعة الرسائل والمسائل — القاهرة سنة ١٩٢٢

ابن خلدون : المقدمة تحقيق الدكتور وافي / ط لجنة البيان العربي سنة ١٩٦٠

ابن القيم : مدارج السالكين ط/ المنار بدون تاريخ

أبو نصر السراج : اللمع حققه دكتور عبد الحلـيم محمود ود. سرور ط/ دار الكتب الحديثة سنة ١٩٦٠

ابن عجيبة : إيقاظ الهمم في شرح الحكم لإعطاء الله السكندري

أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ط/ الحلبي سنة ١٩٣٩

أحمد الشرباصي: الغزالي والتصوف الإسلامي ط/ دار الهلال بمصر

د. إبراهيم بسيوني: نشأة التصوف الإسلامي ط/ دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٩

حلمي د. محمد مصطفي : ابن الفارض والحب الإلهي ط/ لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٥ : الحيـــاة الروحية الإسلام ط/ الحلبي سنة ١٩٤٥

الشعراني : الطبقات الكبرى ط/ مصر ١٣١٥هـــ

السهروردي شهاب الدين: عوارف المعـــارف علـــي هامش الإحياء ط/ الحلبي بمصر سنة ١٩٣٩

القشيري : الرسالة القشيرية الطبعة الأولي/ الحلبي سنة ١٩٤٠

الهجويري : كشف المحجوب/ ترجمة د. إسعاد قنديل ط/المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٩٩٤

بعض أعداد مجلة التصوف الإسلامي

الفهـــرس